محاضرة: 1

ـ مكانة الديموغرافيا في الدراسات الحضرية:

ـ مفهوم الديموغرافيا :

من الحقائق الهامة في العلوم الإنسانية أن السكان هم المحور الرئيسي الذي تدور حوله وتتبع منه كثير من الدراسات في شتى المجالات، ولا جدال في أن عالم اليوم يعيش مرحلة تزايد سكاني كبير لم يسبق أن مر بها في تاريخيه من قبل، ومن هنا تصبح دراسة السكان ذات أهمية قصوى حيث تتأثر حياة المجتمعات بعضها ببعض وترتبط الظواهر السكانية غي معظم أقطار العالم إن لم يكن كلها، بالسياسات الإقليمية والدولة التي تتشابك في نهاية الأمر لتكون صورة عالمية ذات علاقات متبادلة بين أجزاءها ولذلك فإن معرفة الحقائق السكانية تعد أساسا هاما لفهم الكثير من المتغيرات الدولية، بل لا غنى عنها لطالب الدراسات الاجتماعية.

ويبدأ دارس علم السكان بثلاثة أسئلة رئيسية تكون في الواقع مجال الدراسة وإطارها العام، وهي:

1 ـ كم عدد السكان الذين يعيشون في منطقة محددة ويكونون مجتمعا ذا صفات مميزة؟ وما هي التغيرات التي تطرأ على هذا الحجم السكاني وتؤثر فيه بالزيادة أو النقصان؟ ويقصد بها المواليد والوفيات والهجرة.

2 ـ ما نوع السكان الذين تضمهم المجموعة السكانية وما هي مظاهر اختلافهم عن غيرهم من المجموعات الأخرى، وبالتالي ما هي خصائصهم السكانية الكمية – ويقصد بذلك كله تركيب السكان وتقسيمهم حسب فئات طبيعية أو مكتسبة (التركيب العمري – والنوعي – والاقتصادي – والعرقي – واللغوي ...الخ).

3 ـ كيف يتوزع السكان في المنطقة التي يعيشون بها؟ وما هي العوامل والتغيرات المرتبطة بهذا التوزيع؟

وتكمن أهمية دراسة حجم السكان ومكوناته ليس فقط في محاولة معرفة العدد الحالي ونموه في الفترات السابقة بل وفي تحديد التزايد السكاني في المستقبل وبالتالي تقدير عدد السكان في

سنوات مقبلة، ولذلك أهمية كبرى للمخططين في الدولة والذين يضعون خطط التنمية المتعددة الجوانب وفق حجم السكان في السنوات المعينة.

وفي محاولة لتعليل التغيرات السكانية ومكونات النمو في المستقبل يسعى الباحث في مجال السكان (الديموغرافي) إلى معرفة أسبابها، وهذه المكونات ثلاث: المواليد (الخصوبة) والوفيات والهجرة، وهي تتأثر بالعديد من العوامل المتشابكة اقتصاديا وسياسيا، ومحاولة فهم هذه التغيرات تعين على فهم احتمالات التزايد أو التناقص في المستقبل وبالتالي الوصول الى حجم تقريبي للسكان في سنوات مقبلة.

أما التركيب السكاني فيعني ببساطة جميع الخصائص السكانية التي يمكن قياسها رقميا مثل نسبة الصغار أو الكبار أو نسبة القادرين على العمل أو نسبة الأمية في المجتمع وغير ذلك.

ويعد تركيب السكان حسب العمر والنوع أكثر انواع التركيب تداولا في دراسة السكان حيث تنسب اليه الكثير من العمليات الديموغرافية (السكانية) الأخرى في مجال المواليد أو الوفيات أو الهجرة.

ومن الخصائص السكانية الهامة الأخرى في مجال التركيب السكاني نمط المعيشة الممثلة في المواطن الريفي أو الحضري ثم الحالة الزواجية والمهنة والتعليم والدين واللغة لكل واحدة من هذه الخصائص ارتباط بعدد المواليد والوفيات في منطقة معينة وكذا بعدد من يهاجرون إلى المنطقة ومن ينزحون عنها، فدارس السكان لا يدرس فقط التركيب السكاني في وقت معين فحسب بل ويتناول أيضا مدى التغيرات التي تحدث في هذا التركيب وأسباب هذه التغيرات وتأثيرها على حياة المجتمع، ولا ريب في أن التركيب الديموغرافي لشعب من الشعوب يؤثر في بقية العمليات الديموغرافية – وهذه تؤثر بدورها في هذا الشعب عن طريق التجديد المستمر للأجيال المتعاقبة حسب السن والنوع.

أما السؤال الثالث، وهو أين يتوزع السكان؟ فيهتم بأمرين: العدد – والمكان، وقد يتحدد المكان بمنطقة صغيرة مثل القرية أو المدينة.

ولكي نقف على إجابات كل الأسئلة السابقة فلا مناص من دراسة حجم السكان وتركيبهم وتوزيعهم، وأن نفهم ديناميكية النمو والوفاة والهجرة وأن نبحث المغزى الاجتماعي الذي تنطوي عليه كل هذه العمليات الديموغرافية بالنسبة لحياة الإنسان والمجتمع.

وتعرف الدراسة العملية للسكان باسم علم الديموغرافيا Demograph أو علم السكان، هي كلمة تتكون من مقطعين إغريقيين هما Demos وتعني شعب أو سكان و Graphia وتعني وصف، وبذلك كون معنى الكلمة بأكملها وصف السكان و الكتابة عنهم، وأبسط تعريف للديموغرافيا أنها علم إحصائي يهتم بدراسة حجم وتوزيع وتركيب السكان ومكونات التغير الاجتماعي للفرد في المجتمع بصورة المتعددة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا.

ـ الأهمية:

تركز الدرسات الحضرية على دراسة وفهم المجتمعات المعقدة والأكثر كثافة سكانية، مثل مجتمع المدينة، المركز الحضري، الميتروبول وغيريها من انماط الاقامة الحضرية التي تتميز بكثافة سكانية كبيرة، وهنا يأتي دور الديموغرافيا في الفهم الكمي لهذه المجتمعات حتى يتسنى دراستها وتخطيط احتياجات افرادها بشكل يجعل التوازن مابين حجم السكان والخدمات المتاحة ممكنا ومتاحا للجميع، لذلك فإن أهمية الديموغرافيا في الدراسات الحضرية تكمن في أهمية التخطيط الحضري لهذه المجتمعات .

إن علم السكان أو الديموغرافيا الحضرية تهتم بفهم الظاهرة السكانية في ضوء النظام الحضري، وذلك من خلال الربط بين النظرية الاجتماعية (الشق السوسيولوجي) ، والتركيب الهيكلي للمدينة (الشق المجالي او العمراني)، كما ان له دور مهم في فهم الظاهرة الحضرية، ودراستها لما يقدمه من معلومات كمية لحجم الظواهر كالنمو السكاني والهجرة والإسكان .....، مما يسهم في وضع المخططات والسياسات الحضرية التي تعتمد عليها الحكومات.

فالمعرفة السكانية تساهم بشكل خاص في التخطيط الحضري الشامل، حيث يمكن ايجاز أهميتها في ما يلي:

أولا – معرفة خصائص السكان: بما أن التخطيط يبدأ بالإنسان وينتهي إليه، وبما أن التخطيط يهدف بشكل أساسي إلى تنمية الإنسان ورفع مستوى معيشته، فإنه لابد من معرفة خصائص هذا الإنسان وتوزيعه الجغرافي قبل البدء في وضع الخطط المتعلقة به، وتحسين مستوى معيشته أو حل مشكلاته.

ثانيا ـ ارتباط الديموغرافيا بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية: حيث تحظى هذه الاخيرة باهتمام الكثير من العلماء والمسؤولين على حد سواء لارتباط قضايا السكان وتركيبهم وتوزيعهم بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ثالثا ـ السكان عامل قوة للدولة: إن حجم السكان وطبيعته وتركيبهم وسماتهم الديموغرافيا والاجتماعية والاقتصادية والعرقية من العوامل المهمة التي تشكل القوة السياسية للدولة.

رابعا ـ ركيزة للعلوم الاجتماعية: تعتبر معرفة السكان من خلال ضبط اعدادهم وتركيبتهم وتوزريعهم ركيزة تستند اليها العديد من العلوم الاجتماعية كالجغرافيا، التاريخ، الاقتصاد.

خامسا ـ دورها في نجاح المشاريع والاستثمارات: تحتل المعرفة السكانية ذات أهمية كبيرة لدى المستثمرين، فنجاح كثير من الاستثمارات والأنشطة الاقتصادية يعتمد بدرجة كبيرة على دقة البيانات السكانية ومدى الاهتمام بها وأخذها بعين الاعتبار.

سادسا ـ أهميتها في القضايا السياسية: لا يمكن تجاهل أهمية البعد الديموغرافيا في كثير من مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على وجه الخصوص، فكثير من الصراعات لها جوانب سكانية مهمة، وهذا يجعل المعرفة السكانية بعدا مهما وجانبا أساسيا في فهم كثير من المسائل.